مؤتمر
الآلهة الثلاثة

لنقولا الحداد

اجتمع الآلهة الثلاثة القيمون على انسان الارض لكي يبحثوا فيما بلغ اليه من الرقي ويروا ماذا يجب ان يفعلوا لاطراد رقيه . فقال زفس اله القوة — اله السموات والارض — : أنا وهبته الحياة لكي ينمو ويتكاثر . وقد علمت انهُ ملأ الأرض

وقالت مينرفا الهة الحكمة : انا وهبته العقل لكي يحسن تدبير الحياة في سبيل الرقي وقد علمت انه ظفر بسنن الطبيعة واعتقلها

وقالت استرايا إلهة العدالة . أنا غرست فيه جرثومة الحق الالهي . وقد علمت انه ارتقى به حتى انه اخترع نظاماً جديداً للكون العام هو نظام الاجتماع

فقالت مينرفا : لماذا تحسبين نظام الاجتماع نظام الكون العام ، ولا تقولين نظام الكون الانساني فقط ؟

فقالت استرايا : لأن هذا النظام اقتبسته سائر الأكوان نظاماً فلكيًّا وجرت عليه ، وهي مرتبطة به لأنه وقاها من التصادم

فقالت مينرفا : ان نواة نظام الاجتماع الفلكي هذا هي قوة الجاذبية . فهل الانسان اخترع الجاذبية يا ترى ؟

فقال زفس اله القوة : ان الجاذبية قوة الكون القصوى . وأنا الى الآن لم أعرف سرّ هذه القوة . فاذا كان الانسان قد اخترعها فيكون عارفاً سرها . واذاً هو قد تجاوز قوتي . ولذلك أسجد له وأطرح سجني بين يديه

وقالت مينرفا : اذا كان الانسان قد عرف سر الجاذبية او اخترعها فيكون عقله قد تجاوز قوة عقلي الذي وهبته اياه . واذن أسجد له وأسلمه صولجان حكمتي

وقالت استرايا : اذا كان الانسان قد ظفر بسرّ قوة الطبيعة القصوى فظهره لا يضمن لي ان حكمته قد بلغت حد الكمال

فقالت ميترفا : نعماً يا أخويَّ . لقد زودنا الانسان بنعم الحياة والعقل والخُلُق ، وتركناه يدبر شؤون نفسه بقوى هذه النعم . ولقد هجرناه هنيهة من الزمن . فخيرٌ لنا ان نعود الى الأرض ونفحص أحواله ونرى الى أي حد بلغ رقيه . فاذا وجدنا انه قد بلغ هذه الدرجة العليا من الرقي نقلناه الى كوكب أرقى لكي يستمر رقيه فيه . وان لم يكن رقيُّهُ قد تمَّ فلا بأس ان نتقل منهُ بذوراً و نزعها في الكواكب الآخر

فهذا الآخران هذا الرأي وارتضى المؤتمر على قصد تنفيذ هذه الخطة

***

اجتمعوا بعد التفتيش والفحص لكي يتلوا تقاريرهم

قال زفس . ما وصلت الى الارض حتى استقبلتني سيدة اشتبهت بأني أعرفها ، وقالت: كنت انتظر قدومك

قلت : لماذا ؟ وكيف عرفت اني قادم ؟

قالت : انا لوسينا الهة النور وقد جئت لكي أرى ماذا جنى نوري على أهل الأرض وبالطبع أنت . . .

قلت : نعم جئت لكي أرى نتاج الحياة التي وهبتها للانسان وانتظر ان أراه وقد نما وتكاثر وملأ الأرض

فقالت زميلتي ، لم يملأ إلاّ اوربا وبعض آسيا وقليلاً من القارات الاخرى . فالأرض لا تزال تسع عشرين ضعفاً من سكانها . ومادمت أنا أبعث اليها بنوري وحرارتي في امكانها أن تغذي مائة ضعف من بنيه

قلت . . عجباً . بحسب نظرية مالتوس يجب أن تكون الأرض قد امتلأت وأفرغت في سيار آخر عدة مرات منذ ستة آلاف سنة الى اليوم . فاذا دهى هذا الانسان حتى انهُ لم يملأ الارض بعد ؟

قالت . . علمُ أنا بهيرك على ما دهاه

***

وجلسنا نرقب مشهداً الى جنب انسانين أمامهما لوحة عليها أشياء مرأوفهما . فقالت زميلتي هذه العربة يسمونها شطرنجاً . وهذه القطع التي عليها تمثل ملكين ووزيرهما وجنودهم . وهما يتحاربان . فمن يقتل من هؤلاء يطرح خارج ساحة المعركة

وكنت أرى المتحاربين يطرحون واحداً بعد الآخر الى ان بقي واحد فقط . فقلت : وما معنى هذا ؟

قالت : فني الكلُّ الاَّ واحداً بقي الملك له وحده . هكذا يفعل بنو الانسان الآن

قلت : ويحهم كيف ذلك ؟

قالت : تعال وانظر

ومضت بي الى مكانٍ على الارض حسبتهُ جانباً من جهنم اذ رأيت بضعة ملايين من الرجال في صفين يقذف كلٌّ منهما نيراناً على الآخر. فقالت زميلتي : ما رأيتهُ في لمعة الشطرنج انما هو تمثيل لهذا الذي تراه هنا الآن . سيظل بنو الانسان يقتتلون الى ان يبقى واحدٌ فقط يكون مالك الارض

قلت : تبًّا له ! ماذا ينتفع هذا الانسان الواحد اذا فني جميع الناس وبقيَ الملك لهوحده أنقاضاً وأطلالاً

قالت زميلتي : بالطبع هو يفنى أيضاً «وتعود الارض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمةٌ وروح الله يرف على وجه المياه »

قلت : ويلاه ! لماذا فعل هذا الانسان الراقي هذا الفعل الجنوني

قالت زميلتي : الجواب عند الهة الحكمة . هي المسئولة

***

عندئذٍ انبرت الهة الحكمة

قالت : نزلت الى الارض فاذا بي أرى نيراناً تسقط من الجو وتقذف من سطح الارض، ومن تحت الارض ومن البحر ومن تحت الغمر . فصرخت : « ويحي . هل ضللت الطريق الى الارض فساقني القدر الى جهنم ؟ »

واذا بالمريخ إله الحرب يستقبلني ضاحكاً تائلاً : لبيك ضللتَ . وليت القدر ساقك الى جهنم . فكنت تجدينها هامدة . انما أنتِ في الارض الآن

قلت : ويحك اظن هذه ثورة جهنمية وهي فعلتك يا شرير

فقال المريخ : لا يا سيدتي . أنتِ تعلمين اني لا أتبرع بل أُلبي الدعوة . دُعيت فاستجبت

قلتُ : عجباً . أيُّ شرير دعاك الى هذه الفعلة الشنعاء

قال : ذاك الواقف هناك يشاهد المعركة

قلت : من ذاك ؟

قال : هو نصف إله ويسمى زاراوسترا الجديد ابن نيتشه

قلت : وماذا يريد زاراوسترا الجديد هذا من هذه المعركة الطاحنة ؟

قال : ندعوه ولنستجوبه

استدعاه . فسألته : ماذا تريد يا هذا من جرّاء هذه المعركة الطاحنة التي يفني الناس بها بعضهم بعضاً ونحن قد زوّدناهم بكل ما يتمنونه ويكثرهم ويسعدهم فلماذا جئت لشقيهم

قال : لم أقصد ان أشقيهم . وانما أريد أن يكون الانسان نصف إله ترشيحاً له لالوهية كألوهيتكم . ولا يمكن أن يصل الى درجة نصف إله ما لم يتصفّ بموتقة النار والحديد

قلت : ويحك من قال لك انه بهذا التقتيل وهذا التدمير يتصفّى ويرتقي الى الالوهية

قال : نعم . بهذا التقتيل يفنى الضعيف ويبقى الأقوى . نحن نريد انساناً متفوّقاً تتسلسل منه سلالة متفوّقة . لذلك استدعيت المريخ لكي يثير حرب التصفية

قلت : تبّاً لك . من قال لك ان الحرب بوتقة تصفي الانسان فيفنى الضعيف ويبقى القوي ؟ اني أرى العكس . أرى ان الأقوياء يفنون أولاً والضعفاء يفنون أخيراً

قال : ان داروين وبعض الفلاسفة قالوا ان تنازع البقاء سنّة في الاحياء ، ولاسيما في الحيوانات العجماء فالأصلح يبقى . وغير الصالح يفنى

قلت : ولكن هذه السنة ليست للانسان الاجتماعي المتعاون بل هي للحيوان الأعجم فقط

قال : الانسان حيوان خاضع للسنة نفسها

قلت : ولكننا وهبناه العقل والحكمة لكي يخرج من حكم هذه السنة ، ويفتتح سنّة التعاون والتضامن الاجتماعية . فأنت قد أفسدت هذا التدبير

قال : لا يا سيدتي . لم يخرجه العقل من دائرة هذه السنّة . بل بالعكس قوّاه جداً في عمل التنازع . فقد استنبط من وسائله وأدواته ما تجاوز التنازع الحيواني الى الف دائرة ودائرة . لم يستطع الحيوان أن يخاطب بعضه الحيوان من اوروبا الى اوستراليا . ولا ان يضغط على زر فتسير السفينة أو الطائرة من تلقاء نفسها بغير أن يكون فيها احد ويقذف قنبلة فتدك قلعة . ولسوف يستطيع الانسان ان يضغط زرّاً في اميركا فيقذف جبال الألب هذه افعال عجيبة لا يستطيعها الحيوان . وانما العقل الانساني استطاعها . هذا هو فعل العقل الذي وهبناه للانسان يا سيدتي

فنظرت في زميلتنا المريخ كأني استفهم منه كيف فعل العقل هذا الشر وهو اعظم هبة

وهبناها للانسان فقال . الجواب عند استرايا الهة الحق الالهي والعدالة ومصدر الاخلاق الصالحة

***

عند ذلك تقدمت استرايا بوجه شاحب وهي مكفهرة من فرط الحزن والاسى وقالت ، أتأسف أن موهبة الخلائق الصالح التي وهبت للانسان قد ذهبت سدًى . ضرب الانسان بها عرض الحائط . لم يزل هذا الانسان حيوانًا شرسًا على الرغم من انهُ ناطق عاقل ذكي . فهو كما قال زاراوسترا الجديد يسير على سنة التنازع بمنتهى الشدة وقد استعمل العقل الذي وهبتهُ إياه ميثرذا الهة الحكمة سلاحًا للتنازع الحادّ

فقال زفس : لا بد ان هناك قوة غريبة عنا أفسدت فيهِ عملنا . والاّ لكان قد ارتقى الى رتبة نصف الالوهية . اعطيناه القوة الحيوية الفائقة والعقل السامي والخلق الصالح . فاذا يعوزه لكي يكون نصف اله ؟ الى طريقة زاراوسترا في تحجيمه لكي يتطهر من الضعف ويتسع من القوة بحيث يدنو من رتبة الالوهية ؛ هي طريقة خداعة لانها تفضي الى انقراضه لا الى خلق الانسان المتفوّق . لا بد ان يكون زاراوسترا الجديد هذا من طغمة شيروة أو انهُ مغرور مخدوع

فقالت استرايا : لا بد ان يكون من أبالسة جهنم بل انهُ موحى اليهِ منهم وقد ارسل سفيرًا الى الارض لكي يفسد الانسان ويمهد السبيل الى فتح الابالسة ملكوت الانسان واستعباده

فقالت ميثرذا . لهو الرأي الارجح . فما الحيلة اذن ؟

قال : أظن الرأي الأمثل الآن هو ان نذهب الى سيدنا اله الآلهة ونستفتيه في الامر توطئة الى التماس معونته لنا في تطهير الارض من الابالسة الدخلاء الذين أفسدوا الانسان

فقالت استرايا : اجل اذا لم يتفق الانسان من هذا الفساد فمما نخشى على ذريته . اني أنحني الى اقتراح اخينا زفس

ووافقت ميثرذا ايضًا

***

امتثل الآلهة الثلاثة لدى اله الآلهة . وبسطوا له نكبة الانسان . فما أسهلهم حتى يرووا تفاصيلها . بل شرع وتأفف غاضبًا وقال : — لأجل هذا الانسان الحقير الفاسد نجتمع اليّ ؟

لقد صنعت ذرعاً بهذا الانسان منذ زمان وتركته يقضي على نفسه بنفسه . عندي من ادارة الكون ما يكفيني للاهتمام

فقالت مينرفا : ولكن المسألة تحتاج الى قليل من اهتمامك يا سيدنا . حسبك ان تطرد الشيطان من ملكوت الانسان فيتطهر الانسان من الشرور

فقال اله الآلهة ضاحكاً : ويحك . لو طردت الشيطان من مملكة الانسان لما بقي انسانٌ على الارض . لا يبقى الاّ أبالسة الجحيم

فاستغربوا هذا القول وقالت استرايا : كيف ذلك يا مولانا

قال : لان الناس اصبحوا جميعاً شياطين . وأصبح الابالسة يستجيرون من شرور الناس ويضرعون الى ان اطهر الارض والجحيم من شر الانسان

فحيروا وقالت مينرفا : اذاً لقد قطعت الامل من اصلاح الانسان يا مولانا

قال : نعم لم يعد لي في الانسان مسرة ولا مأرب

قال زفس : لعلك يا مولاي اذا استرجعت منه حريته وجعلته لا يسير الاّ بارادتك فلا بدّ ان يصلح

قال : اذا فعلتُ كما تقول فلا يبقى لنا ذلك الانسان الذي أردته . لا يبقى بينهُ وبين البهيم فرق . فاتركوه وشأنه يهلك بعمل يديه

قالت مينرفا : اذا استمر على هذه الحال يفنى يا سيدي

قال : فليفنَ . خير للكون ان ينطهر من هذه الخليقة التي اعددنا لها جميع وسائل الرقي وأفسحنا أمامها مجال حريتها فافسدت . وصرنا نخشى ان تتلوث سائر الاكوان بفسادها

فقالت مينرفا : اذا فني هذا الانسان أفلا تخلق يا سيدي خليقة أخرى أصلح للبقاء والرقي منهُ

قال : لقد جربت هذه التجربة فأخفقت . فلا أعيد التجربة مرة أخرى

فقال زفس : ونحن ماذا نعمل يا سيدي متى تم فسادنا

قال : تحثوا عن صناعة اخرى لكم

فقالت مينرفا : ألا تسلّطنا على دولة الشيطان التي حربت مملكتنا لكي نعمل في تقويضها

قال : بل اذهبوا . وقوّضوا دولة الانسان لان دولة الشيطان جزءت منها . فاذا أرحتم الشيطان من شر الانسان تاب ذاك عن شروره . واذا تحكّم في تقويض دولة الفساد عودوا اليَّ فاحكموا أوسعة الشرف